المدخل إلى العهد القديم

(الكتب المقدسة)

الدكتور القس صموئيل يوسف خليل

دار الثقافة

طبعة ثانية

الكتــاب : **المدخل إلى العهد القديم**
المؤلـف : **د.ق. صموئيل يوسف**
صدر عن : دار الثقافة- ص.ب ١٦٢ - ١١٨١١ - البانوراما - القاهرة
رقـــم الإيـــداع : ٧٨٨٠/ ١٩٩٣
الترقيم الدولــي : 6- 170 - 213 - 977
المطبعـــــــة : مطبعة سيويرس ت: ٦/ ٦٢٢١٤٢٥
الإخراج الفني والجمع : دار الثقافة
تصميم الغـــــلاف : ماري عادل

١٠ / ٥٨٦ طم / ٢-٣ / ١٩٩٣ - ٢٠٠٥

صموئيل الأول والثاني

يُكَوِّن سفرا صموئيل الأول والثاني سفراً واحداً في الأصل العبري. ويغطي السفران فترة تاريخية هامة في حياة الشعب، تمتد من وقت ظهور صموئيل النبي والقاضي عام ١٠٧٠ ق.م. إلى نهاية حكم داود الملك عام ٩٦١ق.م تقريباً.

ويأتي عنوان هذين السفرين أساساً، من اسم الشخصية الأساسية للأصحاحات الأولى من سفر صموئيل الأول.

أقسام ومشتملات السفرين

أولاً: حياة وخدمة صموئيل (١:١-١٧:٧)

١- ولادة وطفولة صموئيل (١:١-١:٤).

أ- ولادة وتكريس صموئيل (١:١-٢٨).

ب- ترنيمة حنة (١:٢-١٠).

ج- صموئيل وأبناء عالي (١١:٢-٢٦).

د- عقاب بيت عالي (٢٧:٢-٣٦).

هـ- دعوة صموئيل (١:٣-١:٤أ).

٢- سقوط وعودة التابوت (١:٤ب-١:٧).

٣- صموئيل القاضي (٢:٧-١٧).

ثانياً: حياة وخدمة شاول (١:٨-٥٢:١٤).

١- طلب إسرائيل ملكاً (١:٨-٢٢).

٢- حياة شاول السياسية (١:٩-٢٥:١٢).

أ- تعيين شاول (١:٩-١٦:١٠).

ب- تخصيص شاول للحكم (١٧:١٠-٢٧).

ج- إنقاذ أهل يابيش جلعاد (١:١١-١٥).

د- وداع صموئيل (١:١٢-٢٥).

٣- شاول في أيامه الأولى من الحكم: الاضطراب العقلي ورفضه من الحكم (١:١٣-٣٥:١٥).

ثالثاً: شاول وداود (١:١٦- ٢صم ١٨:٨).

١- اختيار داود (١:١٦-٢٣).

٢- داود وجليات (١:١٧-٥٨).

٣- غيرة شاول من داود (١:١٨-٣٠).

٤- محاولة شاول قتل داود (١٩:١-١٧).

٥- هروب داود (١٩:١٨-٣٠:٣١).

أ- شاول في الرامة (١٩:١٨-٢٤).

ب- داود ويوناثان (٢٠:١-٤٢).

ج- الحرب بين شاول وداود (٢١:١-٢٦:٢٥).

١- داود في نوب (٢١:١-٩).

٢- داود في جت (٢١:١٠-١٥).

٣- قتل كهنة نوب (٢٢:١-٢٣).

٤- إنقاذ قعيلة (٢٣:١-١٣).

د- خيانة أهل زيف وعفو داود عن شاول الذي يسعى لقتله (٢٣:١٤-٢٤:٢٢).

هـ- داود وأبيجايل (٢٥:١-١٤).

و- عفو داود عن شاول للمرة الثانية (٢٦:١-٢٥).

ز- انضمام داود لأخيش ملك جت (٢٧:١-٢٨:٢).

ح- شاول والعرافة (٢٨:٣-٢٥).

ط- أخيش يُسَرح داود ورجاله (٢٩:١-١١).

ي- الهجوم على صقلغ (٣٠:١-٣١).

٦- موت شاول (٣١:١-١٣).

٧- داود ينتقم لشاول (وثمن الكذب) (٢صم ١:١-١٦).

٨- داود يرثي لشاول ويوناثان (١:١٧-٢٧).

٩- داود ملكاً على يهوذا وإسرائيل (٢:١-٨:١٨).

أ- داود ملكاً على حبرون (٢:١-٤:١٢).

ب- داود ملكاً على أورشليم (٥:١-٨:١٨).

رابعاً: حياة داود كملك على كل إسرائيل ويهوذا (٩:١-٢٠:٢٦).

١- تكريم داود لمفيبوشث بن يوناثان (٩:١-١٣).

٢- حروب عمون وأرام (سوريا) (١٠:١-١١:١).

٣- خطية داود وثمرتها المرة والأليمة (١١:٢-١٨:٣٢).

٤- مرثاة داود على ابنه أبشالوم (١٨:٣٣-١٩:٧).

٥- يوآب يوبخ داود، والملك يعيد ترتيب شئونه (١٩:٨-٤٣).

٦- ثورة الأسباط الشمالية (٢٠:١-٢٦).

خامساً: أيام داود الأخيرة (٢١:١-٢٤:٢٥).

١- دفن رفات عائلة شاول (٢١:١-٢٢).

٢- مزمور لداود (٢٢:١-٥١).

٣- ميثاق داود (٢٣:١-٧).

٤- الأبطال الثلاثة وعملهم الجريء (٢٣:٨-٣٩).

٥- التعداد والوبأ (٢٤:١-٢٥).

معنى الاسم: صموئيل

لازال أصل التسمية «صموئيل» موضوع بحث وتفسير العديد من علماء اللغة، غير أن العالم والباحث الألماني في اللغة العبرية «جيزينيس» يرى أن الاسم معناه «اسم الله» أو «اسمه الله». ولازال هذا هو المعنى السائد بين علماء الكتاب.

ولعل حنّة أمه أسمته بهذا الاسم صموئيل שְׁמוּאֵל قائلة «لأني من الرب سألته» (١صم ١:٢٠). وبهذا الاسم أيضاً تردُ جواباً على كل من يدهش أو يعجب من أهل بيتها، بأنها أصبحت أماً بعد فقد كل رجاء بشري. قائلة ومعلنة للجميع إنه الرب (اسمه الرب). أليس هو الرب... إلى الأبد... وإلى دور فدور (قارن خروج ٣:١٤-١٦، ٦:٣).

وكان صموئيل قاضياً لإسرائيل ونبياً، من سبط أفرايم (١صم ١:١، قارن ١أخ ٦:١٣، ١٨). وهنا يرى بعض العلماء بأنه لم يكن كاهناً، وفي هذا يرى أحد العلماء بأن صموئيل كان كاهناً لأن الرب دعاه ليكهن له. بأن قدم ذبيحة، ومسح داود ملكاً عوضاً عن شاول (١صم ١٦:١-١٣، قارن مع ١صم ١٣:٨-١٣).

وهو الرب الذي دعا عاموس من أسرة بسيطة وفقيرة، ليكون نبياً له. رغم أنه لم يكن يوماً من بين بني الأنبياء (تلميذ في مدرسة الأنبياء) (قارن عاموس ٧:١٤-١٥ مع الأعداد ١١-١٣).

وليس هذا فقط، أن يدعو الرب صموئيل ليكون كاهناً له، رغم أنه لم يكن لاوياً، بل للرب أيضاً أن يدعو كهنة ولاويين من الأمم (إش ٦٦:٢٠-٢١).

الكاتب وتاريخ الكتابة

لازال موضوع تاريخ كتابة سفري صموئيل الأول والثاني غير معروف. كما هو الحال مع بعض أسفار العهد القديم. إذ أن معظم أجزاء السفرين تمت أحداثها بعد وفاة صموئيل.

وفيما يلي الآراء المختلفة حول الكاتب وزمن الكتابة:

١- يُرجح بأن الجزء الأكبر من سفر صموئيل الأول، قد كتب عام ١٠٠٠ ق.م، وبقية الأجزاء كتبت ما بين عام ٩٧٠-٩٥٠ ق.م تقريباً، أو بعد هذا التاريخ بقليل.

٢- جاء بالتلمود اليهودي أن صموئيل هو الكاتب لهذين السفرين، والمرجح أن النبي صموئيل كتب كل ما جاء في تاريخ إسرائيل أيام حكمه قبل أن يتقاعد من منصبه.

٣- يرى أحدهم أن أبياثار كتب معظم أسفار (أجزاء) السفرين، خاصة ما جاء عنه زمان تولي داود الحكم، إذ أن

أبياثار كان قد أمضى فترة طويلة مع داود في المنفى (١صم ٢٢: ٢٠-٣٠). والمعروف أن أبياثار جاء من أسرة كهنوتية، وله دراية بفن الكتابة وصيانة المخطوطات، وقد أشار يسوع إلى أبياثار في (مرقس ٢: ٢٦، قارن ١أخ ١٥: ١١).

٤- يرى البعض الآخر أن واحداً من بني الأنبياء نشأ في إحدى المدارس التي أسسها صموئيل، وقد أخذ على عاتقه كتابة تاريخ إسرائيل الذي بدأه سيده.

٥- ويُرجح بعض الباحثين أن الكاتب عاش في زمن متأخر لملوك يهوذا، مستنداً على ما ورد في (١صم ٢٧: ٦) «فأعطاه أخيش في ذلك اليوم صقلغ. لذلك صارت صقلغ لملوك يهوذا إلى هذا اليوم».

ويتحتم بناء على هذه الكلمات أن الكاتب عاش بعد تقسيم المملكة إلى مملكتين شمالية وجنوبية، كما يرجح أن السفر كتب عام ٦٧٥ ق.م.

ولقد استعان الكاتب بعدة مصادر هي أسفار أخبار لملوك عديدين. مثل سفر أخبار شاول وحياته السياسية والدنية، وكتابات عن داود وحياته كسياسي ورجل حرب. وكتابات هي سفر أخبار، عن تاريخ وعجائب تابوت العهد. بالإضافة إلى أسفار وكتابات أخرى عديدة. غير أن علماء كثيرين يرون بأن ما جاء في (٢صم ٢٧: ٦) يُعد إضافة متأخرة تمت بإرشاد الروح القدس، عند إعادة كتابة السفر.

وفيما يلي بيان توضيحي من زمن الخروج إلى صموئيل

حدث الخروج «القرن ١٣ق.م» (خروج ١٤-١٥)	سيتي الأول «١٣٠٩-١٢٩٠ق.م.»
	رمسيس الثاني «١٢٩٠-١٢٢٤ق.م»
فترة البرية «١٢٩٠-١٢٥٠ق.م» (خروج ١٦)	
الاستيطان في كنعان «١٢٥٠-١٢٠٠ق.م» (يشوع-قضاه).	
العصر الحديدي «١٢٠٠ق.م»	
حلف الأسباط «١٢٠٠-١٠٢٠ق.م» (١صم ١-١٢)	استقرار الفلسطينيين في فلسطين «القرن ١٢ق.م»
سقوط شيلوه «١٠٥٠ق.م» (١صم٤)	صموئيل

آراء نقدية حول الكاتب وأسلوب كتابته والرد عليها من علماء الكتاب المحافظين

١- يرى بعض النقديين أن ترنيمة حنة أم صموئيل (١صم ٢: ١-١٠) تعود إلى زمن ما بعد السبي، لما جاء بها عن تأسيس المملكة، بالإضافة إلى لغة الترنيمة وأسلوب كتابتها.

ويجيب علماء الكتاب بأن حنّة تتحدث في صلاتها هذه عن الملك الأمثل، بالإضافة إلى أن الحكم بنظام ملكي جاء الوعد به في زمن مبكر قبل ذلك (تك ١٧: ٦، تث ١٧: ١٤-٢٠، قض ٨: ٢٢). كما أن أسلوب كتابة الترنيمة هو أسلوب نبوة.

٢- لأول وهلة يتصور الإنسان من دراسته في (١صم ١٦: ١-٢٣) أن الرب يُصرّح لصموئيل بالكذب (١٦: ٢) حينما قال صموئيل للرب «كيف أذهب، إن سمع شاول يقتلني. فقال الرب خذ بيدك عجلة من البقر وقل قد جئت

لأذبح للرب».

لقد قدم صموئيل الذبيحة للرب بالفعل، وليس من داع كما يرى أحد العلماء أن يقول كل الحق في هذا الشأن. وإذا كان صموئيل سئل: هل أنت ذاهب إلى بيت لحم لتمسح داود ملكاً؟ وكان جوابه لشاول: أنا ذاهب لأذبح للرب فقط. في هذه الحالة يحسب على صموئيل أنه كاذب. وهناك فرق كما يقول چون كلڤن J.Calvin بين التضليل وبين عدم الإخبار بالتفصيل عن الحق. ولا يوجد تضليل في هذا الشأن. لأن الرب أراد لصموئيل أن ينجو من بطش شاول بتقديم الذبيحة. وقُدمت الذبيحة بالفعل.

٣- يرى النقديون أن الكاتب لا يفطن لما يكتب أحياناً. إذ كيف يتعرف شاول على داود مرتين (١صم ١٦:١٤-٢٣ وفي ١٧:٥٥-٥٨).

والحقيقة كما يراها أحد الباحثين أن شاول تعرف على داود في المرة الأولى (١٦:١٤-٢٣). وفي المرة الثانية (١٧:٥٥-٥٨) أراد شاول أن يعرف شيئاً عن أسرة داود، وأي نوع من الشجاعة اكتسبها حتى أنه تقدم إلى جليات الفلسطيني وقتله. بالإضافة إلى رغبة شاول ربما في تعيين داود في البلاط الملكي، وليس فقط أن يعفيه من الضرائب كما جاء في (١صم ١٧:٢٥). «وكان لما فرغ (داود) من الكلام مع شاول، أن نفس يوناثان (بن شاول) تعلقت بنفس داود» (١٨:١). وهذا دليل واضح على أن حديثاً مطولاً جرى بين داود وشاول، وتأكيد أيضاً بأن شاول كان يرغب في مزيد من المعرفة عن داود وليس مجرد اسمه بالكامل.

٤- كيف لداود أن يلجأ إلى أخيش ملك جت، الذي سبق لداود أن هرب منه حتى لا يقتله؟

والجواب: عندما لجأ داود إلى أخيش في المرة الأولى (١صم ٢١:١٠-١٥)، كانت ذكرى قتل جليات الفلسطيني لازالت في أذهان الفلسطينيين (قارن ٢١:١١). فخاف داود وهرب. إلا أن أخيش ملك الفلسطينيين تأكد له بعد ذلك أن داود مُطارد من شاول ومكروه منه. وذلك بعد وقت كافٍ، من الفترة المشار عنها في (٢١:١٠) إلى الفترة المشار عنها في (٢٧:١). عندئذ فكر أخيش في الترحيب بداود ورجاله وضمهم إليه لمحاربة إسرائيل. ولا يوجد ثمة تناقض على الإطلاق.

٥- وردت قصة قتل جليات الفلسطيني بواسطة داود في (١صم ١٧، قارن أيضاً ١٩:٥، ٢١:٩، ٢٢:١٠،١٣). إلا أنه جاء في (٢صم ٢١:١٩): «ثم كانت أيضاً حرب في جوب مع الفلسطينيين. فألحانان بن يعري أرجيم البيتلحمي قتل جليات الجتي وكانت قناة رمحه كنول النساجين».

في هذا يرى أحد علماء الكتاب أن جليات المشار عنه هنا هو جليات آخر لما تمتع به من قوة بدنية وعضلية فائقة كسابقه الذي قتله داود. ويرى البعض الآخر أن ألحانان بن يعري أرجيم قتل أخا جليات وليس جليات طبقاً لما ورد عنه في (١أخ ٢٠:٥). وقد حدث هذا الخلط عند إعادة كتابة سفر صموئيل للتشابة في العبرية بين كلمة אֵת وهي أداة المفعول به، والكلمة אֲחִי التي تعني أخا. وبهذا يكون ألحانان قتل أخا جليات الفلسطيني الذي قتله داود.

التعاليم الدينية لسفري صموئيل

كُتب سفرا صموئيل الأول والثاني كما يرى علماء الكتاب بواسطة إنسان آمن بأن يد الله القدير كانت وراء كل الأحداث التاريخية المتعلقة بإسرائيل بكل مافيها من وعود وعهود. ودور كل إنسان في تاريخ الأمة الإسرائيلية أن يظهر إرادة الله وطبيعته في الحياة العملية. فالله يدعو الناس، ويقودهم عاضداً لهم، ليتمكنوا من القيام بمهامهم التي أوكلهم عليها، متوجاً عمل كل واحد منهم بالنجاح. وعليهم فقط أن يسمعوا كلامه ويطيعوه.

والدارس لهذين السفرين يلمس محبة الله ورحمته اللتين تلازمان كل أمين معه. كما أن العقاب يقع على من

يديروا لله القفا لا الوجه. فمثلاً نجد «عالي» الكاهن إنسان الله الوديع يخبره صموئيل الشاب اليانع بكلمة العقاب عن فم الرب، فيقبلها عالي في خضوع تام (١صم ٣:١٢، ١٨).

ويُعيَّن صموئيل نبياً في إسرائيل (١صم ٣: ٢٠، ٢١)، ويصنع الله بواسطته عجائب وآيات (١صم ٧: ١٠). ويصبح صموئيل قائداً لشعبه، ومؤسساً للحكم الملكي. غير أن أولاده لم يكونوا كفاة، بل غير مستحقين لتحمل المسئولية والقيام بها بأمانة بعد صموئيل أبيهم (١صم ٨:١-٤).

وكان شاول فخر إسرائيل في القيادة والبطولة والحكم (١صم ١٠:٢٤) غير أن عصيانه كان سبب سقوطه العظيم (١صم ١٥: ٢٠، ٢٣).

وداود نفسه كان الإنسان الذي كسب قلوب الجميع، وكان غيوراً لله، لم يكن إلا إنساناً خاطئاً، إذ صنع الشر مثل أقل إنسان في المملكة (٢صم ١٢:٧).

إن حق الله وعدله يظهران بوضوح في أحداث هذين السفرين، ومفادهما أن كل أمر يجب أن يخضع لناموس الله. لقد سقط شاول كملك لأنه لا يمكن أن يكون له مطلق السلطة والحكم كباقي ملوك الأرض. ويصبح داود ملكاً بعهد يقطعه معه الله، حتى يجري عدلاً في الأرض في ضوء الكلمة المعطاة له بواسطة النبي والكاهن.

تلك كانت المبادىء الأساسية المحددة، التي يجب أن تلتزم بها كل المملكة في ظل دستور شرعي إلهي. وليتمتع كل واحد في المملكة بحقوقه. ويظل ناموس الله فوق كل الاعتبارات البشرية. وفوق كل ذلك كان لله قصد يسمو على كل أحداث الزمن. فقد قصد الله من تعيين داود ملكاً أن يأتي من نسله المسيا مخلص العالم (٢صم ٧:١٨).

أماكن خدمة صموئيل النبي

الرامة: وتبعد عشرة كيلومترات شمال أورشليم. مركز قضاء صموئيل ومكان دفنه أيضاً (١صم ١:١٩، ٧:١٧، ٢٥:١).

بيت إيل: وتبعد ثمانية كيلومترات شمال الرامة. إنه المكان الذي استخدمه صموئيل للنبوة. وهو المكان الذي ظهر فيه الرب ليعقوب في هيئة جيش من الملائكة يصعدون وينزلون على السلم (قبل صموئيل بـ٨٠٠ عام تقريباً).

مصفاة: تقع غرب الرامة بخمسة كيلومترات. وهناك في المصفاة أقام صموئيل حجر المعونة وقال: «إلى هنا أعاننا الرب» (٧:١٢).

جبعون: منتصف الطريق بين الرامة وأورشليم.

بيت لحم: حيث ولد داود، ومكان ميلاد المسيح يسوع. وتبعد بيت لحم عن الرامة مسافة ٢٠ كيلومتراً إلى الجنوب.

شيلوه: وتبعد ٢٥ كيلومتراً شمال الرامة. ومكان خيمة الاجتماع من وقت يشوع حتى صموئيل إلى وقت مبكر من نبوته.

قرية يعاريم: جنوب غرب الرامة بأربعة عشر كيلومتراً. وهناك في قرية يعاريم حُفظ تابوت العهد بعد استعادته من الفلسطينيين (قارن ١صم ٦، ٧). ثم نقل التابوت إلى أورشليم وقتما سكنها داود. وبقى التابوت هناك إلى بناء الهيكل (٢صم ٦:١-١٥، قارن ٢أخ ١٥:٢٥-٢٩).

صموئيل ومدرسة الأنبياء

لُقب صموئيل بمؤسس مدرسة الأنبياء أو «سيد» المدرسة (١صم ١٠:١٢، ٢مل ٢:٣)، حيث كان بنو الأنبياء

يعيشون حياة البساطة والتقشف (١مل ١٧: ٥-٨). ومعظم الأنبياء كانوا تلاميذ في هذه المدرسة، على أن بعضهم لم يلتحق بهذه المدرسة مثل عاموس.

كما أن صموئيل جعل للأنبياء مكانة عظيمة. فكانوا يمثلون دوراً كبيراً في المجتمع العبراني، وكانوا ملازمين للحكماء والكهنة والمشيرين من رجال الدولة ومقرري مصيرها زمن الحرب والسلام. ودورهم يتمثل بصفة خاصة في إعلان مشيئة الله للشعب وإصلاح الأوضاع الاجتماعية والدينية (٢مل ١٧: ١٣، ١صم ١٩: ٢٠، يو ٧: ٤٥-٥٣) وكانت رسالة النبوة تُعطى عن طريق:

الإعلان (١صم ٣) أو الرؤى (قارن إش ٦، حز١) أو الأحلام (قارن دانيال ٢).

وتعني النبوة ثلاثة أمور في نظر بعض العلماء:

١- معرفة المستقبل.

٢- التسبيح والترنيم (١صم ١٩: ٢١-٢٤).

٣- الصلاة: إذ كان إبراهيم رجلاً باراً، نبي يصلي (تك ٢٠: ٧).

شيلوه المسكن المقدس (إصحاح ١-٣)

كانت شيلوه المكان المقدس الذي كان يحج إليه الإسرائيليون كل عام (١: ٣، ٧، ٢١) بهدف تقديم ذبائح للرب إلههم، حيث كان عالي رئيس الكهنة يخدم الرب يهوه. وكان المنتظر أن يلتف شعب الرب حول عالي الكاهن وحول أبنائه الذين كانوا على حراسة تابوت عهد الرب.

والأصحاحات من (٤: ١-٧: ٢) تتحدث عن تابوت عهد الرب الذي حفظ في شيلوه، وكانت الحرب شديدة بين الفلسطينيين والإسرائيليين. ورأى شيوخ إسرائيل أن يخرجوا بتابوت عهد الرب في حربهم هذه ضد الفلسطينين كما في القديم (قارن ترنيمة تابوت العهد في عدد ١٠: ٣٥-٣٦) قائلين حتى يحل الرب في وسطنا ويخلصنا من أعدائنا (١صم ٤: ٣). فأرسل الشعب إلى شيلوه، وحملوا من هناك تابوت عهد رب الجنود الجالس على الكروبيم. وكان ابنا عالي الكاهن حفني وفينحاس مع تابوت عهد الله. وكان عند دخول تابوت عهد الرب إلى المحلة أن جميع إسرائيل هتفوا هتافاً عظيماً حتى ارتجت الأرض، وخاف الفلسطينيون واضطربوا لأنهم قالوا قد جاء الله إلى المحلة، وقالوا: ويل لنا... من ينقذنا من يد هؤلاء الآلهة. وهم الذين ضربوا مصر بجميع الضربات في البرية. وشدد الفلسطينيون أنفسهم لمواجهة هذا الخطر وانتصروا على إسرائيل، وأخذوا تابوت عهد الله كغنيمة حرب. ومات من إسرائيل ثلاثون ألف رجل، ومات ابنا عالي حفني وفينحاس (١صم ٤: ١-١١).

من هذا الوقت لم ترد أية إشارة أخرى عن شيلوه المسكن المقدس.

لماذا سلّم الرب عِزّه وجلاله ليد العدو؟!

لقد عصوا الله العلي، وشهاداته لم يحفظوا. كما يجيب المرنم في مزموره الثامن والسبعين. بل ارتدوا وغدروا مثل آبائهم. انحرفوا بعيداً كقوس مخطئة. أغاظوا الرب مخلصهم بمرتفعاتهم وأغاروه بتماثيلهم. سمع الله فغضب ورذل إسرائيل جداً. رفض مسكن شيلوه، الخيمة التي نصبها لسكناه بينهم. وسلم للسبي عزه وجلاله ليد العدو(مزمور ٧٨: ٦١). ودفع إلى السيف شعبه وغضب على ميراثه. مختاروه أكلتهم النار وعذاراه لم يحمدن. كهنته سقطوا بالسيف وأرامله لم يبكين (قارن مزمور ٧٨: ٥٦-٦٤، ١صم ٢: ٣٠، ٣٤-٣٦).

وعندما وضع شعب يهوذا كل ثقته في هيكل أورشليم، ذكرهم النبي إرميا بما حدث في شيلوه، مخاطباً إياهم

«أتسرقون وتقتلون وتزنون وتحلفون كذباً ثم تأتون وتقفون أمامي في هذا البيت الذي دعي باسمي عليه ظانين أنكم قد نجوتم... هل صار هذا البيت الذي دعي باسمي عليه مغارة لصوص... اذهبوا إلى موضعي الذي في شيلوه، الذي أسكنت فيه اسمي أولاً، وأنظروا ما صنعت به ومن أجل شر شعبي إسرائيل. والآن من أجل عملكم هذه الأعمال يقول الرب... أصنع بالبيت الذي دعي باسمي عليه الذي أنتم متكلون عليه... كما صنعت بشيلوه، وأطرحكم أمامي كما طرحت كل إخوتكم... (إرميا ٧:٩-١٥، ٢٦:٦، ٩ مع ١صم ٤:١٢-٢٢).

ورغم كل الهزائم التي لحقت بإسرائيل، لم تحسب واحدة منها هزيمة للرب، بل كانت هزيمة سياسية قومية لتهذيب الشعب وتقويمه. إنه الرب نفسه الذي كان يباركهم بالانتصار، وهو نفسه الذي يؤدبهم بالهزيمة والانكسار لفحص الإيمان وتجديد الولاء لإله العهد.

صموئيل آخر قضاة إسرائيل

كانت صموئيل نبياً وقاضياً لإسرائيل. كما كان بلا منازع أعظم القادة الدينيين والمدنيين في إسرائيل كما يرى بعض المفكرين، وذلك منذ وقت موسى النبي. ويمثل دوره مرحلة انتقال من أسلوب القيادة الكارزماتية إلى دور القيادة النبوية، والتي كان لها دورها المهم والرئيسي في حياة إسرائيل. وتحت قيادة صموئيل انتقلت إسرائيل من سياسة التحالف القبلي إلى سياسة الحكومة السياسية الأكثر استقراراً (حكومة ملكية) (١صم ١-١٢). فقد لعب صموئيل دوراً مهماً في تأسيس مملكة إسرائيل (١صم ٩-١٠:١٦، قارن أصحاح ١١) بأن حقق للشعب رغبته في اختيار شاول ملكاً عليهم.

وكان شاول شاباً لامعاً أطول من كل الشعب من كتفه فما فوق (٢٣:١٠). وكان قد قام مع غلامه ليبحث عن أتن أبيه، حتى كاد يفشل في البحث عنها لولا أن غلامه طلب إليه أن يستشير صموئيل الرائي، الذي كان كاهناً معروفاً أيضاً (٦:٩-٩، ١١-١٣). وقد أخبرهما صموئيل بأن الأتن الضالة منذ ثلاثة أيام قد وُجدت (٢٠:٩). ومسح النبي صموئيل شاول ملكاً على إسرائيل (١:١٠) حسب طلبهم ورغبة قلوبهم. فهتف كل الشعب وقالوا ليحيي الملك (قارن ١٧:١٠-٢٤). فالآن هوذا الملك الذي اخترتموه الذي طلبتموه، وهوذا قد جعل الرب عليكم ملكاً (١٣:١٢). فالآن أمثلوا أيضاً وانظروا هذا الأمر العظيم الذي يفعله الرب أمام أعينكم... فتعلمون وترون أنه عظيم شركم الذي عملتموه في عيني الرب بطلبكم لأنفسكم ملكاً... وأعطي الرب رعوداً ومطراً في ذلك اليوم، وخاف جميع الشعب الرب وصموئيل أيضاً (١٦:١٢-١٨). وطلب الشعب إلى صموئيل أن يصلي عنهم إلى الرب إلههم حتى لا يموتوا، قائلين لأننا قد أضفنا إلى جميع خطايانا شراً بطلبنا لأنفسنا ملكاً. وطمأنهم صموئيل موصياً إياهم ألا يحيدوا عن الرب بل يعبدوه بكل قلوبهم... لأنه لا يترك الرب شعبه من أجل اسمه العظيم قائلاً لهم «وأما أنا فحاشا لي أن أخطيء إلى الرب فأكف عن الصلاة من أجلكم بل أعلمكم الطريق الصالح المستقيم إنما اتقوا الرب وأعبدوه بالأمانة من كل قلوبكم... وإن فعلتم شراً فإنكم تهلكون أنتم وملككم جميعاً» (١٩:١٢-٢٥).

وقد أدان هوشع النبي فكرة تأسيس مملكة ومسح شاول ملكاً عليها. والتي رأى فيها رفضاً لسيادة الله عليهم (هوشع ٤:٨، ١٥:٩، ٣:١٠).

شاول كرئيس للشعب (١٠٢٠ق.م-١٠٠٠ق.م)

تجدر الإشارة بأن روح الرب الذي صاحب قضاة إسرائيل وأيدهم بالنجاح والنصرة على الأعداء هو الذي حل على شاول، لذا اعترف به الشعب قائداً ورئيساً وليس لأنه أطول منهم من كتفه فما فوق. إنه روح الرب الذي حل على شاول ليخلص يابيش جلعاد وشعبها من يد العمونيين الذين كانوا مصدر خوف ورعب لهم (١صم ٦:١١-٧). وبعد نجاحه العسكري هذا جعله الشعب ملكاً عليهم على رجاء أن يخلصهم من أيدي أعدائهم ومضايقيهم.

ويرى البعض أن شاول يشبه إلى حد كبير أحد قضاة إسرائيل السابقين له، ولا يشبه أحداً من الملوك الذين أتوا من بعده. وفي (١صم ٦:٩، ١:١٠) نجد وصفاً لشاول بأنه رئيس أو قائد، ولم يلقب بملك مثل داود أو سليمان. ولم تكن لشاول عاصمة لمملكته (دولته)، ولم يكن له نظام حاكم (بمعنى هيكل هرمي للسلطة الحاكمة). وعاش بلا نظم ضرائبية أو تجنيد إلزامي، بل كان جيشه بمثابة جماعة متطوعة من مؤيديه (١صم ٢:١٣، ٥٢:١٤). وكانت قيادته كارزماتية طبقاً لموهبته. وعليه، كانت نزعته إكتئابية عداونية (راجع ٣٦:١٤-٤٦، ٩:١٥، ٢٤)، راجع معاملاته مع داود في (١صم ٩:١٨، ١٢، ١٥، ٢٩).

ويرى أحد الشراح أن شاول نزع لعبادة البعل بعد أن عبد الرب (يهوه). فقد أطلق على ابنه الأول اسم يوناثان (بمعنى الرب أعطى)، أما أولاده بعد ذلك فأطلق عليهم أسماء خاصة ببعل إله الكنعانيين مثل إيشبعل ابنه (ويعني رجل بعل). بالإضافة إلى ذلك، فقد قام شاول بقتل الكهنة من أسرة عالي، الذين كانوا خدام المسكن المقدس في شيلوه وكانوا يقومون بحراسته (١صم ٢٢). تلك كانت شخصيته المتقلبة على العكس تماماً من صموئيل القاضي والنبي والكاهن.

ولم يكن شاول نبياً، وإن كان قد تأثر بالجو العام للأنبياء حتى شاع المثل القائل: «أشاول أيضاً بين الأنبياء» (١صم١٠: ١٠-١١، ١٩: ١٨-٢٤). ويرى أحد العلماء أن التنبؤ هنا والمنسوب لشاول يقصد به الترنم والتسبيح، والذي كان مصحوباً برباب ودف وناي وعود (٥:١٠ب). كما جاء عن النبوة في موضع آخر بمعنى صلاة (تك ٧:٢٠أ).

وكرجل حرب، كانت لشاول الخبرة المحدودة والنظرة الضيقة لفهم القصد الإلهي في التاريخ (راجع ١صم ١٥) والخاصة بالحرب المقدسة (ضمن حروب الرب) لاستئصال كل نجاسة ورجاسة.

لقد كان على شاول بأمر الرب عن طريق صموئيل النبي، أن يبيد العمالقة كلية... الرجل والسيدة والطفل وكل حيوان في الأرض مع ثرواتهم. وبعبارة أخرى كانت حرباً مقدسة. شعب عماليق الذي كان هدفهم الأول القضاء على مختاري الرب (خروج ١٧:٨-١٦).

وفي الحرب المقدسة، على الإنسان أن يتسلح بأفضل سلاح لتحقيق النصر وهو الإصغاء لصوت الرب إلهه، وأن يمتثل لدعوته التي هي امتحان في الأمانة والولاء لإله العهد والإيمان الواثق في شخصه الذي يتقدم شعبه. ويعد إثماً عظيماً على الشخص في الحرب المقدسة أن يأخذ شيئاً ما كغنيمة، بل يكون كل شيء مقدساً (محرماً) وقد وضح ذلك في قصة عخان بن كرمي الذي سرق من الغنيمة، فنجم عنه الهلاك والدمار لنفسه وأسرته أيضاً (يش ٧). إنه عمل بغيض ومكرهة أمام الرب القدوس أن يأخذ الإنسان من الحرام بدلاً من تدميره أمام الرب (١:٧) وقد عفا شاول والشعب عن أجاج ملك عماليق، وعن خيار الغنم والبقر والسمين وكل ما هو جيد، ولم يرضوا أن يحرموها. وكل الأملاك المحتقرة والمهزولة حرموها (١صم ٩:١٥). وحسن هذا في عيني شاول بحسب الحكمة الأرضية البشرية، وتجسد خطأه هذا بأنه لم يستمع للرب ولم يطعه تماماً، وكان كلام الرب إلى صموئيل قائلاً: «ندمت على أني قد جعلت شاول ملكاً، لأنه رجع من ورائي ولم يقم كلامي» (عدد ١١) وواجه صموئيل شاول بالحقيقة قائلاً له: «هل مسرة الرب بالمحرقات والذبائح كما باستماع صوت الرب. هوذا الاستماع أفضل من الذبيحة، والإصغاء أفضل من شحم الكباش. لأن التمرد كخطية العرافة، والعناد (عدم الطاعة) كعبادة الوثن، لأنك رفضت كلام الرب، رفضك الرب من الملك» (١صم ١٥:٢٢-٢٣)، وتقدم صموئيل إلى أجاج ملك عماليق وقال: «كما أثكل سيفك النساء، هكذا تثكل أمك بين النساء». وقطعه صموئيل أمام الرب في الجلجال (عدد ٣٣).

وفي هذا يتساءل المرء: كيف ولماذا يحدث هذا؟ وهل يُسر الرب بإبادة شعب بجملته بواسطة شعب آخر؟ ويجيب

علماء الكتاب المحافظين بأن شعب إسرائيل كان بمثابة أداة في يد الرب لتحقيق إرادته المقدسة الكاملة والمرضية قدامه، وليس لأنه أفضل من باقي الشعوب (إش ١٠:١٥، ٢٧:١٤، ١٣:٤٠، ١٧، قارن تث ٧:٧-١١). إنه الإله القدوس الذي أسلم شعبه المختار إسرائيل ليد أشور وبابل للتأديب والعقاب (قارن إرميا ٨:٢٧-١١، ٢٦:٣٢-٣٥). وهو الرب الذي نظر بعين رحمته إلى الأشوريين عندما رأى أنهم رجعوا عن طريقهم الرديئة. فندم الرب على الشر الذي تكلم أن يصنعه فلم يصنعه (يونان ٣: ١٠).

إنه الإله الخالق للجميع، ومحبته مقدسة وعادلة. وله أن يرى إبادة شعب بجملته كعماليق، لأنهم مثار خطر في الخطية والنجاسة، إنه الجراح الأعظم الذي له أن يستأصل عضواً فاسداً في الجسم البشري لخير الإنسانية كلها. ولا يُقال عن الجراح الماهر الذي يدرك عمله جيداً أنه قاسي القلب ولا يرحم (قارن إش ١٢:٤٠-١٥ب، ١٧أ).

شاول مسيح الرب

تكلم داود بهذه الكلمات عن شاول بأنه مسيح الرب عند مطاردة شاول له ومعه ثلاثة آلاف رجل يطلبون داود لقتله. ورغم أنه كان بإمكان داود أن يقتل شاول (١صم ٣:٢٤-٥) إلا أنه وبخ رجاله بالكلام، ولم يدعهم يقومون على شاول (عدد٦) قائلاً: حاشا لي من قبل الرب أن أمد يدي إليه لأنه مسيح الرب. وتكرر هذا في موضع آخر، عندما توجه شاول إلى برية زيف ومعه رجاله المنتخبون لكي يفتشوا عن داود لقتله أيضاً. وكان داود مقيماً في البرية (١صم ١:٢٦-٣). وتحقق داود من ذلك، ورآهم نائمين في الموضع «لأن سبات الرب وقع عليهم» (عدد ١٢). وقال أبيشاي لداود: «قد حبس الله اليوم عدوك (شاول) في يدك، فدعني الآن أضربه بالرمح دفعة واحدة ولا أثني عليه». عندئذ أجابه داود: «حي هو الرب، إن الرب سوف يضربه أو يأتي يومه فيموت»... «حاشا لي من قبل الرب أن أمد يدي إلى مسيح الرب» (أعداد ١٢:٧، قارن أيضاً أعداد ١٣-٢٥).

والكلمة «مسيح» في العبرية تعني «الممسوح لعمل ما». كما تعني بالتخصيص «مسح الملك والنبي» (١مل ١٦:١٩، إش ١:٦١، قارن ١صم ١:١٠)، ومسح الكاهن (خروج ٤١:٢٨، ٧:٢٩)، قارن أيضاً (١مل ٣٩:١، ٢مل ١٢:١١). فالمسيح هنا هو الممسوح لعمل خاص من قبل الرب، ولأجل ذلك لم يُرد داود أن يقتل شاول، وكان هذا في قدرة يده، لأنه مسيح الرب (١صم ٦:٢٤، ١٠، ١١:٢٦). بالإضافة إلى ذلك فإن الكلمة «مسيح» تشير دائماً في الأسفار المقدسة إلى الملك الحاكم ممثلاً لله لتأسيس مملكة الله على الأرض. وبهذا المعنى وردت الكلمة «المسيح» في العهد الجديد (مرقس ٢٩:٨).

شاول في بيت العرافة

جاء في الأصحاح (٢٨) أن شاول تنكر ولبس ثياباً أخرى. وذهب هو ورجلان معه وجاءوا إلى امرأة صاحبة جان ليلاً وقال لها: اعرفي لي بالجان وأصعدي لي من أقول لك. وأجابته المرأة خائفة من أن يكون هذا شركاً ليميتها قائلة: «أنت تعلم ما فعل شاول كيف قطع أصحاب الجان والتوابع من الأرض» (٩:٢٨). فحلف لها شاول بالرب قائلاً «حي هو الرب إنه لا يلحقك ضرر في هذا الأمر» (عدد ١٠).

إن خلفية ذهاب شاول إلى المرأة صاحبة الجان هو الخوف والاضطراب من جيش الفلسطينيين، وسأل شاول من الرب فلم يجبه الرب لا بالأحلام ولا بالأوريم ولا بالأنبياء، وبات واضحاً له بأن جميع النوافذ والسبل قد سدت أمامه. فلجأ إلى وسيلة أخرى وهي الجان، فهل يجاب إلى طلبه؟!

لقد طلب شاول من المرأة بأن تصعد له صموئيل. وجاء في (عدد ١٢) «فلما رأت المرأة صموئيل صرخت بصوت عظيم وكلمت المرأة شاول قائلة: لماذا خدعتني وأنت شاول؟» وهنا يرى بعض العلماء أن المرأة رأت صموئيل بالفعل. وسمح الرب بذلك هذه المرة، ويرى البعض الآخر أن المرأة كذبت مرتين على شاول:

الكذبة الأولى: أنها لم تر صموئيل: إذ كيف يعقل أن يسمح الرب للجان أن يصطحب صموئيل بأمر المرأة، والرب قد رفض شاول ولم يجبه لا بالأحلام ولا بالأوريم ولا بالأنبياء (٢٨: ٦، لاحظ أيضاً شهادة شاول عن نفسه في العدد ١٥).

الكذبة الثانية: في قولها لشاول: لماذا خدعتني وأنت شاول؟ ولعلها في هذه الكلمات تظهر فطنة وذكاء شديدين منها، مع حكمة إنسانية شيطانية، حتى يتقين شاول أنها أجابته لطلبه بإصعاد صموئيل له. ولعلها أيضاً عرفت - كما يرى كثير من العلماء - بأنه شاول وهو يخطو إلى بيتها لحظة أن رأته، لأنه كان أطول من كل الشعب من كتفه فما فوق (١٠: ٢٣). ويتساءل أحد العلماء في الآيات (من ١٥-٢٠ من الأصحاح ٢٨ ذاته)، كيف يمكن للجان أن يُقلق إنسان وهو في الأبدية؟ (عدد ١٥). وهل يوجد في الأبدية شيوخ وشبان ويتغطون أيضاً بجبة وغيرها؟ وما هو الجديد الذي أتي على شاول من طلبه هذا؟ (قارن أعداد ١٥-١٨). ألم يسمع ذات الكلمات من صموئيل النبي والقاضي قبل موته؟!

أما عن الكلمات «غداً أنت وبنوك تكونون معي» (عدد ١٩) فهي لا تحمل نبوة عسرة الفهم، بل هي تحصيل حاصل، إذ لابد لشاول وبنيه أن يرحلوا من هذا العالم في لحظة معينة، والكلمة «غداً» تعبير عن زمن مجهول غير محدد. (راجع ما جاء في لاويين ١٩: ٣١، ٢٠: ٦، خروج ٢٢: ١٨، تث ١٨: ٩-١٤، إشعياء ٨: ١٩، إرميا ٢٧: ٩-١٠).

وينجلي كل غموض أمام كلمات كاتب سفر أخبار الأيام الأول عن هذا الحدث (١٠: ١٣) «فمات شاول بخيانته التي بها خان الرب من أجل كلام الرب الذي لم يحفظه» (قارن ١صم ١٣: ١٣-١٤، ١٥: ٢٢-٢٣، ٢٨: ٧) وأيضاً لأجل طلبه إلى الجان للسؤال، ولم يسأل من الرب من القلب بإيمان واثق وروح الطاعة الكاملة لشخصه المبارك القدوس (قارن ١صم ٢٨: ٦) «لأن ليس كل من يقول لي يارب يارب يدخل ملكوت السموات، بل الذي يفعل إرادة أبي الذي في السموات» (مت ٧: ٢١). لذلك أماته الرب، وحول المملكة إلى داود بن يَسّى.

داود ملكاً على إسرائيل (١٠٠٠-٩٦١ ق.م)

كان داود ملكاً وحاكماً قديراً ماهراً، استطاع بحكمته أن يجمع كل الشعب إلى جانبه (٢صم١ -٤).

وتعد مرثاة داود على شاول وابنه يوناثان، تعبيراً واضحاً وصادقاً لحزنه عليهما وصفحه لمن كان يطارده ويطلب نفسه (٢صم ١). مما جعل الشعب يتعلق به أكثر كملك صفوح يغفر لمن أساء إليه. كما ظهر إخلاص داود أيضاً في محبته لأبنير بن نير الذي كان قائداً لجيش شاول. وبكاه داود كثيراً هذه المرة أيضاً لقتله. «وعلم كل الشعب وجميع إسرائيل في ذلك اليوم أنه لم يكن من الملك قتل أبنير بن نير، وقال داود الملك لعبيده ألا تعلمون أن رئيساً وعظيماً سقط اليوم في إسرائيل... يجازي الرب فاعل الشر كشره» (٢صم ٣: ٣٧-٣٩).

وعندما قُتل مفيبوشث بن شاول بواسطة اثنين من رجاله، طمعاً منهما في كسب رضى الملك داود عنهما. أمر داود بقتلهما لأنهما قتلا رجلاً صديقاً في بيته على سريره (٢صم ٤: ٩-١٢) كما تم مع الرجل الذي بَشَّره بقتل شاول من قبل (٢صم ١: ١٤-١٥).

وكان داود متيقناً من النجاح لتمسكه بالرب إلهه، واثقاً في الذي عضده بكل القدرات، وجاءت كل أسباط إسرائيل مع يهوذا ونصبوه ملكاً عليهم (٥: ١-٣) وبدأ داود في بناء مملكته بالصمود أمام الموآبيين والأدوميين والعمونيين والآراميين. واتسعت المملكة إلى عشرة أمثال ما تسلمها من شاول. ويرى أحد الباحثين أن نجاح داود لا يرجع فقط إلى مهارته العسكرية، بل إلى حكمته النابعة من خوفه للرب إلهه، كما أسس مدينة أورشليم عاصمة لمملكته (٢صم ٥: ٤-١٠). وأصعد تابوت الله إلى مدينة أورشليم بفرح، ونصبه في وسط الخيمة التي خصصها له

١٢:٦-١٧).

وأراد داود أن يبني هيكلاً للرب، غير أنه أخبر بواسطة ناثان النبي عن فم الرب قائلاً: «متى كملت أيامك واضطجعت مع آبائك أقيم بعدك نسلك الذي يخرج من أحشائك وأثبت مملكته. هو يبني بيتاً لاسمي وأنا أثبت كرسي مملكته إلى الأبد» (٢ صم ٧:١٢-١٣).

وجاء بالأصحاحات (٩: ٢٠) من سفر صموئيل الثاني، صورة حية ودقيقة عن حياة داود التي يعتقد أنها كتبت في وقت مبكر يعود إلى زمن سليمان الملك، وكتبت بكل الوضوح الكامل، ولم يُحذف منها شيء وخاصة عن خطية داود وقتل أوريا الحثي (٢صم ١١) ولم يرد أي عذر لداود على فعلته هذه، وفي الأصحاح (١٢) جاء وصف دقيق من مقابلة ناثان النبي مع داود الملك، في سلطانه ومجده، موبخاً إياه وبقوة. إذ قال له النبي ناثان «أنت هو الرجل» ويُعد هذا الأصحاح (٢صم ١٢) في نظر أحد العلماء، بأنه أحد النصوص الذهبية بالأسفار المقدسة. فقد كانت توبة داود صادقة، وغُفرت خطيته من قبل الرب، لكنها أثمرت علقماً وأفسنتيناً وكل مرارة. لأنه جعل أعداء الرب يشمتون (١٢:١٤). وتوالت المآسي بدءاً من موت الطفل ثمرة خطيته (١٥:٢٣)، واعتداء أمنون على ثامار أخته من أبيه (١٣:١-١٩) واغتيال أمنون بواسطة أبشالوم أخيه من أبيه وشقيق ثامار (١٣:٢٣-٣٩) وتمرد أبشالوم على أبيه داود (الأصحاحات من ١٥-١٩) كما تخلص يوآب قائد جيش داود (وهو رجل حرب قاسي القلب) من أبشالوم وشبع بن بكري (٢صم ٢٠) ولم يكن هناك ما يعزي داود عن قتل ابنه أبشالوم الذي كان متمرداً عليه (٢صم ١٨:٣١-٣٣) وأخيراً المنافسة بين أدونيا وسليمان على العرش بعد داود أبيهما (١مل ١-٢).

يتضح مما سبق كما يرى بعض العلماء، أن حكم داود على إسرائيل لم يؤسس فقط قواعد أساسية وهامة للحكم دامت لأكثر من أربعة قرون من الزمان، بل نجم عنه ضرورة أن يتقي الملك الرب إلهه ويخشاه من القلب والعقل، وهو الممسوح من الله.

وقد أخذ داود مكانته مع إبراهيم وموسى كرجل عهد مع الرب، والذي قيل له من ناثان النبي عن فم الرب «كرسيك يكون ثابتاً إلى الأبد» (٢صم ٧:١٦، قارن ٢صم ٢٣:١-٧، ١مل ٨:١٢-٢٦، مزامير ٢، ٨، ٢٠، ٢١، ٤٥، ٧٢، ٨٩، ١٠٠، ١٠١، ١٣٢، ١٤٤:١-١١).